# دلالة المكان في"سكاكين حرير" للقاص حميد الزاملي

م.م. ختام حميد مجيد

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة واسط / ثانوية المتفوقات

**الملخص :**

يُعد المكان من العناصر القيِّمة الرئيسية في النص القصصي ،فهو العنصر الذي تجري فيه أحداث القصة وتتحرك من خلاله الشخصيات، وهو حاضن للوجود الأنساني لمئات السنين، والناظر في النصوص القصصية يستوقفه المكان بكل صوره ومفرداته؛ ليشكِّل ظاهرة مميزة فيه ، فيتخذ المكان أبعادا جديدة تُساهم في أبراز فكرة الكاتب وتحليل نفسية شخصياته، فيحاول إبراز تلك الجوانب من خلاله مُعتمدا في بعض الأحيان على خياله المكون لتلك الصور، فالمكان يؤثر في إيصال الفكرة إلى المتلقي لما يمتلكه من دلالات وأبعاد مختلفة.

الكلمات المفتاحية: (دلالة المكان، سكاكين حرير).

## The significance of place in "Knives of Silk" by the storyteller Hamid Al-Zamili

**khitam hamid majid**

**Ministry of Education / General Directorate of Education of Wasit Governorate / High School for Outstanding Students**

Abstracts:

The place is one of the main valuable elements in the fictional text, as it is the element in which the events of the story take place and through which the characters move, and it is an incubator for human existence for hundreds of years. To form a distinctive phenomenon in it, the place takes new dimensions that contribute to highlighting the idea of the writer and analyzing the psychology of his characters, so

he tries to highlight these aspects through him, sometimes relying on his imagination that consists of those images.

Keywords: (significance of place, silk knives).

## المبحث الأول: المكان وأهميته

### مفهوم المكان

### أ- لغة

وردت لفظة المكان في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعًا [١] ذات معانٍ ودلالات متنوعة أبرزها(المحل أو الموضع )كقوله تعالى :"وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا "[٢].

أمّا في المعاجم الحديثة والقديمة فقد وردت تعريفات عديدة، إذ جاءت متشابهة بصورة قد تصل الى حد التطابق فيما بينها وهي تدل على الموضع الحاوي لشيء إذ وردت في لسان العرب :"الموضع والجمع :أمكنة ،كقذال وأقذلة ،وأماكن جمع الجمع، قال الثعلب:يبطل أن يكون مكان .فَعَالًا،لأن العرب تقول كُنْ مكانك وقُمْ مكانك ،واقعدْ مقعدك ،ويدلّ هذا على أنه مصدر من "كان" أو موضع منه "[٣].

### ب-اصطلاحا

هو"الموضع الذي يولد فيه الأنسان،والذي يستقر فيه ،وهو الموضع الذي يعيش فيه يتطور منه إذ ينتقل من حال إلى آخر،وما ينطبق على تطورحياة الإنسان الفرد،ينطبق على تطور حياة الجماعات الأمم"(٤) .

أمّا في المفهوم الفلسفي فقد أثارحفيظة واهتمام الفلاسفة لأهميته الكبيرة ،فقديتوقف عليه وجود الأنسان على الأرض ،وأفاضت الدراسات والمباحث الفلسفية في معرفة أصول المكان،فعلى سبيل المثال يُعرفه أفلاطون"هو ما يحوي الأشياء ويقبلها ويتشكل بها"(٥) فقد عدّ هذا التعريف اللبنة الأولى وحجر الأساس في تحديد ما هية المكان . أمّا في الدراسات الفلسفية الحديثة ، كانت نظرتهم للمكان أكثر تطورًا بسبب التوسع المعرفي والعلمي إذ يرى "برغسون " بأنه وسط متجانس تنتشر عليه أحوال النفس متسرب إلى جمال الشعور (٦).

وهناك إسهامات للفلاسفة المسلمين ومنهم ابن رشد،فيعده "الحيز الحاوي للحياة النابضة" (٧) .أمّا في العمل الأدبي يمثل محورًا أساسيًا في القصة،فلم يُعد الخلفية التي تجري فيها الأحداث والشخصيات فحسب بل شكّل بُعداجماليًا داخل القصة ،فهوبمثابة العمود الفقري للقصة فبدونه تسقط تلقائيًا العناصر المكونة للعمل القصصي (٨).

**أهميته**

يُعد المكان القصصي ركنًا أساسيًا في العمل السردي،فهو هوية من هويات بنية النص لا يمكن التنازل عنها أو اختزالها فقد يفقد العمل الأدبي أصالته وخصوصيته إذا فقد المكانية (٩)،فالمكان يقيم علاقات وثيقة مع عناصر العمل السردي،فيُساهم في رسم الشخصيات والكشف عن عوالمها الداخلية ،وله دورٌهام في تنظيم الأحداث، كما أنه "يساعد على إدراك الزمن ويضمن التماسك البنيوي للنص ككل،ليشكّل ضمن هذه المفاهيم محورًا من المحاور الرئيسية التي تدور حولها نظريّة الأدب "(١٠) فيكتسب المكان أهميته في السرد القصصي ،ليس بحكم كونه الخلفية والموضع الذي تتحرك فيه الشخصيات وتقع فيه الحوادث فحسب ،بل

لأنّه"الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه،فقد حمّله بعض الروائيين تاريخ بلادهم،ومطامح شخوصهم فكان واقعًا ورمزًا"(١١)

فنرى أن هناك تعريفات متنوعة تناولت مفهوم المكان لغويا وفلسفيا ،فكلّ ناقدًا وعالم يحاول تحديده بحسب اختصاصه فهو الحيّز والعنصر الاقوى الذي يربط أجزاء القصة بعضها ببعض وركيزة هامة من ركائزها وجمالياتها يشمل وظائف وتصورات مرتبطة بالفكر الأنساني وتجربتها بالحياة مُعبرًا عن نفسية الشخصيات حاملًا لوجهات نظرها ومحددًا لطبيعة الأحداث ومساراتها.

**المبحث الثاني**

**دلالات المكان**

للمكان أنواع عديدة ،تتوزع بحسب طبيعة المكان ،يُقدمها القاص بصورتين ،أمّا أن يكون حقيقيا ويجسد تجربة حقيقية بكافة تفاصيلها،أو أن يكون مجازيا متخيلا، الأمر الذي يمنح الكاتب حرية أكبروأقدرعلى الخلق والأبداع،مُتحررا من معطيات واقعية عديدة،فهو مكان تصنعه اللغة وتقيمه الكلمات مُعبراعن أغراض المؤلف،وله دلالات متعدّدة تبعًا لأختلاف وجهات النظرفيها وما تقوم عليه من تعّددالقراءات مما يؤدي إلى انفتاح النص،فالمكان لهُ علاقة متينة بالمسيرة الأنسانية إذ يمنح الشخصّيات الهويةويميزها عن باقي الشخصيات في القصة. فالهدف من المكان ليس بناء ديكور لسيرالأحداث فحسب، بل إعطائها دلالات متنوعة فيتخذ المكان رموزومعاني متنوعة، وهذا ما ظهر لنا في قصص حميد الزاملي ،إذ استطاع أن يربط بين القيم الأجتماعية والحالة النفسية للشخصيات بالمكان القصصي لتصبح ذا دلالات واسعة ومؤثرة من خلال هذا الترابط .

تتنوع أنماط المكان من باحثٍ لآخر، فلا نجد تقسيمًا متفقًا عليه في الدراسات العربية أو الغربية،فلكل وجهة نظره إنطلاقا من تخصصه ،فنقسم الأماكن في المجموعة القصصية المختارة إلى مغلق ومفتوح، وأليف ومعادٍ ولكل نوع من هذه الأماكن دلالات ذات ميزة مختلفة

تُعطي للنص صدى وإيقاعا،لهذا فأن من المعروف ان تحليل دلالات الأماكن في السرد يساعدنا على معرفة ما يريده القاص إيصاله إلى المتلقي [١٢].

فلم يكن تعامل القاص مع الأماكن تعاملا جغرافيا جافا ،مُجردا من الدلالات والجمالية ،إنما كان تعاملا فنيا مليئا بالمشاعر والأحاسيس ،الأمر الذي يترك لنا التقرب والنفور منها ،فالقاص يفرض الأماكن ويجعلها تؤثروتتأثر بالشخصيات القصصية التي تقوم بصنع الأحداث ،وله أثر في تحديد شعور الشخصيّات ،الأمر الذي يؤدي إلى تحديد نوعه من خلال رؤيتها وشعورها مما يؤدي إلى تحقيق التفاعل بين الذات والموضوع [١٣]

وسنقوم بعرض نماذج من القصص المختارة ونبيّن دلالة المكان من خلال الثنائيات الضديّة ،هذه العلاقة التي تتشكل من خلال علاقة القاص و الشخصيات بالأماكن القصصية إذ ترتبط الأمكنة في قصص حميد الزاملي بالمعمار الرئيسي في سيرأحداث القصص ، فتجسد العالم الواقعيّ البيئي والأجتماعي في أسلوب فني وضمن سياق سردي متماثل ومتناسق،فنراه يختار أماكن واقعية موجودة فعلًا وينقلها إلى قصصه ،منها ( حي الأندلس) في قصة ( قبلة الأندلس )،فقد ورد ذكر اسم الأندلس اكثر من مرة ،ما ذكره الكاتب على لسان الشخصية ،إذعاينت الشخصية حي الأندلس وما حلّ بمنازله من هدم تهجيروخراب يقول: ( الآن عتيقة ومهجورة ،طبعا ،لأنهم هربوا منها بعد أحداث العنف التي استهدفتهم نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات،لقد هاجروا سريعا تاركين كل شيء)[١٤] ، فوصف حي الأندلس وصفًا حسيّا، انعكس على الشخصية وإحساسها وأثرت سلبًا عليه ،فأصبح هذا الحي انعكاسة بارزة على نفسية الشخصية ،إذ فقدهذا الحي العالم الجميل وأصبح ذا صورة سوداء قاتمة ،فالراوي يدرك الحقيقة التي مرت بها بغداد عام (١٩٧٥) وهي فترة كثر التهجير وقلّ فيها الأمن ،فعلاقتها فيها هي علاقة الحزين و المتألم و المتأسف لإهمال الحكومة لهذه المنطقة بسبب أحداث العنف و القمع التي أستهدفت سكان هذه المنطقة فقد تغيرت نظرته إزاء هذه المنطقة فأصبحت مكانًا مغلقًا على سكانها لايسعهم التحرك و العيش فيها بسلام فأضطروا الى الهرب منها وأصبحت مهجورة وعتيقة .

**أنماط المكان**

**المكان المغلق**

وهو المكان الذي يتحدد بمساحته و مكوّناته كمكان للسكن و المأوى الذي يُؤي الإنسان ويعتمده للعيش فترات طويلة من الزّمن سواء بإرادته كالبيت أو المستشفى أو بإرادة الآخرين كالسّجون[١٥] فيرمز تارةً بالأمان والراحة والأطمئنان ،كما قد يوحي تارةً أخرى إلى مشاعر الخوف و الضيّق .

ويأتي المكان المغلق نقيضًا للمكان المفتوح ينهض ليُلبي حاجة الفرد للسكن أو أماكن عمل أو للعبادة فتُبعًا لذلك يتغير الشكل الهندسي لهذه الأمكنة بما يناسب حاجة ساكنيه .

إن مسألة انغلاق الأماكن والركون إليها أو الأبتعاد عنها تبقى مسألة نسبية راجعة الى من يسكنها، ففي بعض الحالات يتحول البيت من رمز للسكينة والأمان والراحة إلى وكر للخوف والأضطهاد .

وهو من أكثرالأماكن أستحواذًا على أهتمام القاصين،لما له من قدرة خاصة على الأفصاح عن طبيعة ساكنيه وشعورهم وإضاءة تلك الجوانب المعتمة من شخصياتهم فالبيت يتحررمن كونه مجرد ركام من الجدران والأثاث ،إذ يضفي على ساكنيه بعدًا روحيًا و يتفاعل معهم فالبيت "ليس مجرد مكان نحيا أو نسكن فيه و إنما بالأحرى جزء من وجودنا الأنساني "[١٦] .

فالبيوت التي أفصح عنها القاص في "قبلة الأندلس"رفقها بسيلٍ من الانطباعات السلبيّة ،وهي بعيدة في كونها رمزا للحماية والألفة والطمأنينة،هاجرتها الأُسربسبب الحروب والخوف من السلطات وهذامايعكس الواقع المأساوي الذي عاشه الشعب العراقي في تلك الفترة،لهذا حتى وأن التزم القاص الصمت تجاهها ،فإن مشاهد الخراب التي أحاطت بها قد أسقطت عنها كل دلالة

للأمان والألفة وحرية العيش،فلم يكن القاص مُجبرا لتقديم وصفٍ عنها سواء من داخل البيوت أو خارجها ،تاركا للقارىء أن يجمع ما يُحيط بالبيت من ضيق وهرب ،فاعتمد الوصف البسيط في تشخيصها "عتيقة ومهجورة" وهو "الوصف الذي يُعطى من خلال جملة وصفيّة مهيمنة قصيرة لا تحتوي إلّا على بعض التراكيب الوصفيّة الصغرى ،ويتحقق ذلك في الغالب حين يتمّ الاستغناء عن الأجزاء والصِّفات"(١٧)

يحضرالمكان الأليف (البيت) في قصة (حفلة الكاف) بمستويات مختلفة فصور(أنه لن يعود ،الأنوارالخافتة،الباب المغلق) تدل على أحاسيس الفقدان والضياع للشخصية و(عيناها حمر ) كأنها ردود أفعال تواجه الشخصية وتبعث صورة المعاناة من الأرق ؛بسبب سوء الحالة المزاجية وخوفًا من الوحدة وعدم الطمأنينة في عالم بيتي مشبع بالضياع.

فالحديث عن الظلام الثقوب المظلمة ذا ابعاد رمزية تدل على الفقد و الجرح و الحزن و أيضًا نرى دلالة الشمعة فهي ترمز إلى الحياة و تنير الطريق وتمنح الدفء ، ولكن ذوبان الشموع وأخفات نورها دليل على فناء الحياة و اليأس الخيبة والخذلان في تحقيق الأماني كما في قول السارد: "أوقات طويلة مرت على تحديقها صوب الشمعات المستمرة بالذوبان،انتبهت إلى خفوت النوروازدياد مخلفات الشمع المتراكم كتضاريس متعددة الارتفاعات..."(١٨)

أمّا الجدار الأصفر،الفستان الأصفر أخذا دلالة عميقة وبعدًا رمزيًا يحملا في طياته الإنكسارو ذبول النفس الحزينة وضعفها التي قد ترتبط بذبول الأوراق الصفراء في فصل الخريف و تجرد الأشجار من أهم العناصر الجمالية الرئيسة ألا و هو الورق، فنرى القاص يُكثر من ذكر الألوان وهي من أهم الظواهر التي تسترعي انتباه الإنسان فتكون دلالته قصدية ،فيذكر اللون الوردي (للمشبك) وهو مزيج من الأحمر و الأبيض أختاره القاص لونًا للحب ،إذ يخفف عن الشخصية شعورها بالوحدة ويغمرها بالحماية و الحب إذ "أظهرت دراسةعلمية حول اللون الوردي تناولت أنعكاساته و أختاره الشعراء لونًا للحب"(١٩) ،يقول السارد: :"معاينة وجهها المنعكس وسط المرآة المستطيلة المثبتة في منتصف الجدار المدهون بلون يقترب من الأصفر

الخفيف...تعوّدت ترديد هذا المقطع من أغنية "أنا وليلى"أثناء تكوير شعر رأسها وتثبيته بالمشبك الوردي على شكل قلب.."[٢٠]

أمّاالوشاح فكان أسود دلالة على الحزن و الفراق (فالحداد الأسود هو حداد بلا رجاء هو الفقدان النهائي السقوط في العدم بلا عودة)[٢١] .

فنلاحظ صورة البيت في تأملات لا تتوقف عند الألفة والحميمة ،البيت الذي فقدت به الشخصية الحماية في عالم يتبعد عن المتعة في الحياة والألفة فجميع هذه الدلالات والوحشة (الشموع الذائبة ،الألوان،الجدار الأصفر،الملابس المزدحمة ،العتمة ،الباب المغلق ،الغطاء المبعثر)رموزًا أو مفاتيحًا للعزلة وللفراق .

فكانت عناصر البيت نموذجًا للنفور والبغضاء وكانت أنعكاسًا للحياة النفسية الداخلية لذات الشخصية ،إذ كما قال ويلك :"البيوت تعبر عن أصحابها و هي تفعل فعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيه "[٢٢] .

ومن الأماكن المغلقة الضيقة السجن الذي يتميز بعدم الثبات و الأستقرار مكان تكبح فيه الحرية و يحيل إلى دلالة السيطرة و القهر وفقدان الأستمتاع بالحياة و الغياب عن الجماعة " فالسجن أُعدَ أصلًا لعزل الأنسان ،و شل قدرته ....إنه حالة سلبية على نحو ما تؤكده الدلالة المركزية "[٢٣] ،لكنه أصبح في قصة "سكاكين حرير" حالة إيجابية ل"حرير"ويحمل دلالة متميزة،ففي الوقت الذي نعلم أن السجن فضاء لسلب الحريات وما فيه من تعذيب و قهر،لكنه أصبح رمزا لشجاعة حرير،إذ إن لفلسفة المكان قدرة على التغيير و التحول من وجه إلى آخر من الأنغلاق إلى الأنفتاح و الأتساع الداخلي ومن الأمثلة على ذلك تحوله في القصة إلى مكان مفتوح، من خلال قدرة القاص على تحويله عن طريق قدرة سردية ذو مستوى عالٍ سيكون ذا أثر دلاليًا عميق المستوى فيقول السارد:"تم سجنه في (أبو غريب)...الذي صار محطة جديدة لمعاركه ومشاجراته الكبيرة منذ يومه الأول ،إذ استطاع هزيمة جوقي الزعيم وإخضاعه لسلطته نهائيا برأسية سريعة أسقطته فجعلت الملك حرير يصبح الزعيم الجديد ،وقد ذاع صيته في أرجاء السجن ،فأهل المدينة

يتحدثون بفخر وإعجاب عن شجاعته ونبله "[٢٤] ،فالسجن يفرض عدائيته و أنغلاقه ، نسبةً الى الممارسات اللاشرعية التي تدور حول أصحابه، و هذه الممارسات متجلية و واضحة في عموم القصة فهو من أكثر الأماكن وضوحًا في موقفه السلبي تجاه شخصياته المحيطة لكننا نراه على العكس من ذلك، فعلاقة حرير مع الناس من جهة و أنسجامهم معه و مناداته بزعيم من جهة أخرى هي علاقات إيجابية تدل على جعل السجن أبعد ما يكون مكانًا سلبيًا بحد ذاته.ومن هنا نرى القاص أبعدَ المعنى الأصلي للسجن ،وجعله ذا ثنائية مهمة (ثنائية الأنغلاق والانفتاح)،الأنغلاق مكان منغلق من حيث المساحة ومغلق عن العالم الخارجي ،أمّا الانفتاح نقصد في الصفات كالنبل والشجاعة والفخر.

ومن الأماكن المغلقة التي وجدت في المجموعة (المستشفى) قدمها القاص من خلال الأوصاف المتعددة فأستطاع أن يظهرأثر المستشفى من خلال الشخصيات، فالظروف الصعبة التي مرت بها الشخصية من موت صديقه زهير بعد سقوطه من أعلى البرج وموت أخيه رشيد الذي سبقه أرغمت الشخصية على المكوث فيها ،فهي مكان فقدَت الشخصية الحرية فيه، و كانت خطا فاصلًا بين الواقع و الأمل فقد وصفه السارد في كثير من التعابير (الورد الميت،بكائه العالي الذي تزايد في الأيام الأخيرة ، الصيحات المتكررة،وشتم الإبر التي تزرق له،تتغير سحنته حين يتكلم عن رشيد) جميعها دلالات على الشعور الداخلي و الحالة اليائسة التي يعيشها من عدم الأستقرار النفسي معبرًا عن المعانات التي عاشها .فيقول :"كنت أروم اللحاق برشيد،وحتى ذلك الشاب زهيرالذي سقط ميتا من أعلى البرج قبل أشهر لم يكن يعنيني كصديق عابر فقط ،بل كان يذكرني بطفولة رشيد الضائعة"[٢٥].فيذهب القاص بأستخدام كل ما هو متاح له لكي يركز و يُعمّق من ضراوة هذا الأحساس لدى شخصيّاته،وشعورها بالخوف و الألم في أحدى غرف المستشفى، فأصبحت المستشفى لها دلالة مرتبطة بالشخصية وحالتها النفسية ،فالألم الذي أصابه وما شاهده أثناء الحرب دلالة على مرارة الظروف التي يعاني منها،فأصبح المكان ومن فيه يمثل المشهد العراقي في الواقع المعاش .

**المكان المفتوح**

المكان المفتوح "هو كل حيّز كبير أو صغير، قائم، أو متحرك، ثابت أو متغيّر، يحتوي الحدث و الشخصية و الفكرة، و ينفتح على الآخر مباشرةً أو بالواسطة،و يلاقيه الصلة أو التفاعل أو التأثير بحيث لا يبقى فسيحًا منكفئًا على ذاته يتحجب بالجدران العازلة،و المكان سواء كان مغلقًا أو مفتوحًا يستطيع أن يفسر كثيرًا من الدلالات الأجتماعيّة و النفسيّة و إحالتها على عالم رمزيّ أو واقعي متخيّل"[٢٦].أي تكون مفتوحة من جانب واحد أو أكثر و أن تكون مفتوحة من الأعلى .

فالأنفتاح يمنح الشخصيات طمأنينة و أرتياحًا.يبدو المكان المفتوح في حالات أشدّ ضيقا من المكان المغلق إذ يقول باشلار:"انفتاح المكان أكثر مما يجب يشعر بالاختناق أكثر من المكان الأضيق ممّا نحتاج ..."[٢٧] ،ولقد مثلت الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في قصص حميد الزاملي و منها (البستان).إذ يحضر كمكان مفتوح في قصة (غزالة حاء) من خلال موجوداته فكل ما فيه من الموجودات تجمع الصفات الموحشة في البستان، فما يهمنا توضيح دلالة المكان، لأنه مركز الحدث الذي تستمد منه الشخصية هويّتها، فدلالة المكان نجدها مرتبطة بقلق الشخصية و محتوياته يقول السارد:" نخل برؤوس متعددة ،أشجار نحاسية الأغصان ،لاحت شواهد القبور كما لو أنها مزروعة وسط الأفق...ليس هذا فحسب بل تبدو جميع الأشياء مختلفة غريبة في البستان الممتد على مد البصر" [٢٨] تدلّ على حالة اليأس و البؤس التي تعيشها الشخصية مكانًا تجتمع فيه الأسرار و مكنوناتها الداخليّة .

فللبستان سمات غامضة تجعل دلالته مختلفة ،فدلالته الراحة الخير و الحب بستان تنتظم فيه الأشجار و الزهور،البستان هناتغيّر كثيرًا يحمل دلالة مناقضة لدلالته مرتبطًا بالضيق والغربة و الخوف بدلًا من الحرية و الأمن والانتماء، منزاحًا بذلك من فضاء مفتوح الى فضاء مغلق نفسيا للإنسان يبعث على السؤم و يتصف بضيق الحركة و عدم الحرية ،فالبستان هنا ليس بستان عادي إذ لا وجود له في الواقع وأجواءه المتخيلة ،بل هو طريقة أراد بها القاص تصوير الخوف والموت والهروب من ضجيج ،فيصورطفل ميت بعينين مفتوحتين محمول في أريكة تحملها كلاب بيضاء إذ "تكشف الفنتازيا عن الانحطاط وتمعن فيه" ،جميع هذه الدلالات تُجسد جوهر النص وعمقه السردي ،فهي تومئ إلى فضاء مفتوح نفسي يميل إلى الوحدة والذكريات

والحزن ويبين الضيق وكبت الأنفاس الذي يتميز به عالمنا الأنساني ويعبر عن الحالة النفسية التي تتعايش معها الشخصية الرئيسية.

إنّ للشوارع و الطرق أشكال متعدّدة ،فهي أماكن مرور وانتقال نموذجية مزدحمة صاخبة،مليئة بالأصوات العالية والغموض وعوادم السيارات . لا يمكن أن تكون بمعزل عن الشخصية ومشاعرها، فالشوارع المليئة بالسيارات والناس تبعث الراحة و الطمأنينة للشخصيّات التي تعيش فيها،فيتناول القاص هذه الأماكن و يجعل لها دلالات معبّرة، يقول السارد:" كانت الريح المتوسطة السرعة القادمة من شمال الأندلس تتلاعب بخصلات الفتيات السافرات اللواتي يمشين بهدوء فوق الأرصفة القريبة منه ،كذلك تراقصت أطراف الشجيرات المنسقة على طرفي الشارع المتعامد مع الطريق السريع" [٢٩] ففي هذا المقطع يتحدث القاص عن جمال "بغداد" منطقة ساحة الأندلس من خلال شوارعها و الأشجار المحيطة و الأرصفة ..... فوصف القاص بطريقة مباشرة ممزوجًا بحياة الناس و شعورهم، فأصبحت جميع المقاطع الوصفيّة دالة على الواقع الأجتماعيّ و يعطي الهدوء و الطمأنينة للنفس البشرية ،فقد تحول هذا المكان إلى كتلة حية تنبض بالحياة و الحركة و البهجة و التشكيل .

ومن الأمثلة الأخرى سدة الكوت قدمها القاص كمكان مفتوح تتحرك فيه الشخصية بأحلامها وصراعهاو أنكسارها الحزين ، فتؤجج صورة البحر مشاعر الحزن و المرارة و تحفّز ذاكرة الشخصية ، فتسترجع موضعًا إنسانيًا أجتماعيًا يعرض جانبًا من جوانب معاناتها ومشكلاتها الأجتماعية نتيجة الظروف الحياتية الصعبة التي مرّ بها العراق من الحروب والحصار الأقتصادي والحرمان والعتمة ،يقول السارد:"ما زال مصغيا لحديث فرهاد عن الأيام التي عاشها طوال فترة حصاربضمنها معاركه العديدة ضد الإرهابيين الذين يواصلون هجوماتهم ليلا ونهارا ،بكى عدة مرات وهو يستعرض أسماء الشهداء والأطفال الذين ماتوا من الجوع والمراض ...سدة الكوت بواباتها تخفي أسرارا كثيرة،نحتفي فوقها بأحزاننا" [٣٠] ، فنلاحظ أرتباط دلالة سدة الكوت بواقع الشخصية كونه مكانًا لجأت إليه الشخصيّة لتزيل عن النفس همومها وأحزانها.

**المكان الأليف**

هو المكان الذي يركن أليه الأنسان ،و تأنسه النفس،و يدعوها إلى الأرتياح و الرضا و الطمأنينة، لتوفيره على أحتياجات الأنسان في الحياة اليومية، وهو يدعو إلى الألفة، فهذا شعور يعني الألتئام والمؤانسة و الأجتماع [٣١] ، ففيه ترتبط مشاعر الأنسان ووجدانيتهُ بعلاقات أيجابية فهو مكان جاذب لهُ. وهي الأماكن التي يشعر الأنسان فيها بالألفة و الطمأنينة والأمن ويظل الأنسان مرتبط بها و يتذكرها كلما أبتعد عنها على حد ما، نجد المكان الأليف (البيت) الذي يتشكل حسب طبيعة الشخصيّات و علاقتهم بالواقع،مكانا تلجأ إليه الشخصيّة عندما تشعر بالراحة و الطمأنينة و يكون رمزًا للأنسجام و الأنفتاح ،وهو من أكثر الأماكن ألفة حسب فكرة باشلارإذ يقول :"البيت الذي ولدنا فيه،بيت مأهول ،وقيم الألفة موزعة فيه ،وليس من السهل إقامة التوازن بينهما ..."[٣٢]

فالبيت في قصة (زيت على كانفس) مكان أليف من خلال الوصف المعبّر عن الألفة،مكان يحمل صورة محبوبته و ضحكتها فرؤيته لها تبعث الدفء و الأنتعاش دلالة تبعث الراحة و الأمن لإحاسيسه و مشاعره ، يقول السارد "هواجسي تتراكم كلما اشاهد صورتها المرسومة المعلقة في غرفة نومي ،يلوح وجهها مجددا في الساعات الأخيرة من الليل ...أتذكر شفتيها شعرها القصير،استعيد أجزاء من سهراتي معها ،آنذاك كنت ابتسم وأنا البي طلبها المكرر "[٣٣] ،فقدّم القاص المكان حاويًا ماضيه من خلال الذكريات التي أشتملت على حديثه مع محبوبته، فالذكرى كانت الأداة الحقيقية لرسم البيت، مُعطية للمكان الحركة و الحيوية،فلم ترتسم ألفة البيت على شكل صور فحسب،بل تتمثل داخل جهازنا العصبي في الكثير من ردود الأفعال،فهو المكان الذي لو عدنا إليه في الظلام سوف نعرف طريقنا في داخله نتيجة الدفء والراحة [٣٤].

فتتواصل الرؤى حول المكان ،إذ لا وجود للمطلق في المكان ففي سميوطيقا المكان ليس فضاء أو حيز فارغًا لكنه مليء بالأشياء والكائنات التي تضفي عليه تصورات وأبعادا خاصة من الدلالات[٣٥] ولا نقيد المكان الأليف تبعا لرؤية باشلار بالبيت فقط ،فالألفة متنوعة تبعا لشعور

الشخصية ،فهناك أماكن غير البيت تبعث الأمان والراحة كما في قصة ( الطائرات )، فقد تطرق القاص إلى (الملجأ والخنادق ) كمكان أليف تلتجيء إليه الشخصية، ملاذًا يحتُمى به ضد الغارات، لتوفير الحماية و الأمن،فنرى القاص يتكلم عنها يقول:"الخنادق المحفورة الموزعة في الشوارع والجبهات أثناء سنوات الحروب التي جرت ،وقد احتميت فيها للمرة الأولى والأخيرة ذات نهار كبقية المحتمين من الغارة الجوية التي استهدفت مدينتي الصغيرة الغافية بجوار شط الغراف"[٣٦]

**المكان المعادي**

هو ذلك المكان الذي تشعر الشخصية إزائه بالنفور والكراهية ويقف للأنسان بالمرصاد لمواجهة إنسانيته فتحاول الأنفصال عنه، إذ تتمحور الأماكن المعادية: المنفى، السجن، مكان الغربة، وما شابه ذلك و قد ذكر "غالب هلسا" صفاته بقوله "يتخذ هذا المكان صفة المجتمع الأبوي بهرمية السلطة في داخله و عنفه الموجبة لكل من يخالف التعليمات وتعفسه الذي يبدو و كأنه ذو طابع قدري"[٣٧] يتحول البيت في بعض الأحيان إلى مكان معادٍ لإشخاصه؛ لسبب أو بآخر فيتركه ساكنوه إلى ملجأ آخر ،بالرغم من أنه كوننا الأول وركننا في العالم ،الكون الحقيقي بكل ما للكلمة من معنى[٣٨] .ففي قصة (هجرة إلى بغداد) أصبح الوطن للشخصية مكانًا معاديًا متوحشًا لا يطيقهُ، و إحساسه إتجاهه بالعداء و الكراهية ،فهو مكان الصراع ناتجا عن التوتر والمعاناة يقول :(ايقنت بأهمية الهجرة النهائية من العراق والابتعاد عن منغصات كثيرة صادفتني ...سأحتاج إلى وقت طويل كي أنسى معاناتي ) [٣٩] فالشخصية رغم أمتلاكه لأصدقاء ،إلّا أنه لم يشعر بالراحة في وطنه، و أضحى له مكانا ضيقًا يحس اتجاهه بالعداء والنفور لما عانى فيه. أمّافي قصة (ماري) يقدم القاص البيت نموذجًا غير شرعيا ومألوفًا ،نستدل على ذلك من خلال الطبقة البشرية التي تسكنه مليئًا بالعلاقات الزائفة والرديئة فيقول:(ضحكتْ وهي تضع المفتاح في الباب الحديدي ،إنحنت قليلا ..زندها القريب يلامس طرف حقيبتها المعلقة بموازاة سروالها الذي تراجع لتعديل شرشف السرير...تبتسم وتضرب كأسها بكأسه بقوة...لايمكن نسيان الضابط الذي اقتادهما بتهمتي الدعارة والتزوير)[٤٠] فلا

يمكن أن يتسم البيت بسمة الألفة بشكل مطلق ،فقديكون أليفًا عند اشخاص ومعاديًا عند أشخاص آخرين،تلك الدلالة التي تتمثل في رموز تتجسد في أعماق النص والتي نصل إليها من خلال التأويل والقراءة العميقة،مرتبطا بالإنسان وبحالته النفسية وما يصاحبها من ضيق واضطراب مما يجعل أفكاره معادية. أمّا في قصة (الطائرات)يقدّم القاص البرج مكانًا ضيقًا يحس أتجاهه بالعداء و الكراهية مرتبطًا بذكريات حزينة فيقول:(مازالت نبرات صوته ترن في مسامعي كلما تطلعت صوب درجة البرج الأخيرة التي سقط منها..كنت أروم اللحاق بزهير الذي سقط ميتا من أعلى البرج لم يكن يعنيني كصديق عابر فقط...)[٤١] .

كما أن المكان نفسه قد يحمل إشارتين ودلالتين متضادتين كما في قاعة المعرض في قصة مكاتيب أميرة، فشعورالشخصية بالمكان كان شعور ممتزجًا بين الألفة و الفرح والسعادة وتوفرت فيه أسباب الفخامة ؛بسبب الإضاءة والتوزيع الهندسي الصحيح وكان توزيع مدروسًا، لتصبح القاعة مكانًا يعمه التميز والبهجة المنسقة ،حافلا بالسعادة والأجواء الدافئة التي تُهيأ للرومانسية فيقول القاص:"الإنارة المنسقة في قاعة العرض جعلت مقتنياته باهرة ومميزة ،والحزمة الضوئية الناتجة عن المصابيح الملونة المصفوفة في السقف توزعت على جميع معروضاته بشكل متساو تقريبا...أعجبني مشهد اختلاط الألوان الباذخةالإثارة والجمال ،أمعنت النظر جيدا في العباءة المغطاة بألوان فائقة اللمعان،شعرت بفخر وسعادة يخترقان أوردتي"[٤٢] ،فشعور الشخصية بالمكان نراه سرعان ما يتلاشى إلى الإحباط والملل والتذمروالقلق من خلال انتقالاته السريعة وذكرياته ورسائله،وكيف كانت ضحكات وتعليقات الشباب الساخرة حول رسائل الغرام مقارنة بزمننا الحديث وتطور الشبكة العنكبوتية ،فطاقة المكان اضفت عليه حالة من السلبية فيقول:"ليتني استطيع معالجة التوتر القلِق الذي سيحل وبعض الكلمات الساخرة لبضعة شباب مروا سريعا أمام رسالة أميرة المكتوبة على ورقة وردية اللون بخط واضح وانيق يعلو زاويتها اليسرى قلب مرسوم بلون احمر ... حدقت صوبهم حين توالت ضحكاتهم وإشاراتهم وتعليقاتهم المستهزئة برسائل الحب أيام زمان مع تقنيات الانترنت والهواتف الذكية،...تأسفت على تنفيذ تلك الفكرة..." [٤٣]

نستنتج من ذلك لا وجود للمطلق في المكان فمن الممكن أن يكون حميميًا في وقت ،ويكون معاديًا في وقت آخر حسب الأحداث التي تجري وحسب تصورات وأفكار الشخصية ،فنراه يذكر المعرض ومقتنياته وطريقة التنسيق الهندسي كان لها دورا في خروجه مما يعانيه ويكابده من الظروف

**الخاتمة:**

يمتاز المكان بقيمة كبرى في الأعمال القصصية نظرا لاستناده إلى الواقع والخيال، فهو وسيلة الكاتب المبدع في خلق هيكلية النص ،وقد توصلت من خلال دراستي للمكان في المجموعة القصصية الى :

-للمكان وظيفة فنية ،إذ يضفي وجوده جماليات فنية بالغة التأثير بما تحمله من دِلالات ايحائية وايماءات تنقُل القارئُ من المعنى السطحي إلى المعنى العميق مُحققة اللذة والمتعة

-اظهرت الدراسة رؤية الكاتب تجاه الحياة والواقع في مختلف النواحي الأنسانية فكانت قصصه متصلة بالواقع وكاشفة عن قضاياه ،وهذا ما يعكس على شخصياته الإحساس العميق والواضح تجاه تواجدهم في هذه الأمكنة .

- عمد حميد الزاملي من خلال الأماكن إلى اظهار واقع البيوت والمدن في قصصه من خلال الإشارة ببعض الصور والرموز ،رغبة منه في الوصول إلى الواقع الأجتماعي والسياسي والتاريخي وتصويرالواقع المعيش للطبقات الفقيرة برؤية جمالية فأحسن توظيفها في الخطاب السردي .

- كشفت لنا الدراسة براعة حميد الزاملي في تصوير المكان من خلال توظيفه الألوان واستخدام التعابير المجازية والرموز في وصف الأمكنة.

-إن المكان الذي اختاره حميد في مجموعته لايمكن أن يكون مجرد صورة من تلقاءمخيلته، صامتا مجردا من الرموز والمعاني ،إنما صورة براقة تفتح من تلقاء نفسها دلالات ومعانٍ متعددة متحكما بها في سير الأحداث ،عاكسا نفسية ساكنيه ، فيتصف بوظيفة رمزية على القارئ فك هذه الرموز، فقد يكون المكان المفتوح مغلق نفسيا للشخصية ،يبعث على القلق والخوف والملل فيكون

معاديا ،وقد يكون المغلق مفتوحا يبعث على الراحة والمحبة فيكون المكان محبوبا وأليفا للشخصية،وقد يكون المكان نفسه حاملا لدلالتين متضادتين الألفة والعداءحسب الأحداث وشعورالشخصية ختـاما اتمنى أن يكون بحثي قد أحاط ما سطرنا ،وهو بطبيعة الحال لا يمكن أن يكون كاملا ؛لان الدراسة لا نهاية لها .

**الهوامش المصادر:**

(١) يُنظر :المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته، جمعه ودققه :محمد فارس بركات ،٤٥٨

(٢) سورة مريم،الآية ١

(٣) لسان العرب ،ابن منظور ،مادة مكن،٨٣

(٤)الانتماء في الشعر الجاهلي ،فاروق أحمد سليم ،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق ،سوريا ،ط١٩٩٨، ١٩٧

(٥) الزمان والمكان في الشعر الجاهلي،باديس فوغالي،إربد عالم الكتب الحديث،عمان ،الأردن،ط١، ٢٠٠٨،ص ١٧٠.

(٦) يُنظر: في سبيل موسوعة فلسفيّة ٩٦.

(٧) نصوص ودراسات فلسفية ،ابن رشد ،(فصل المقال) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائرط١٩٨٢،ص٤١

(٨)يُنظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،حميد لحميداني ،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط٢٠٠٣،ص٤.

(٩)يُنظر: جماليات المكان: جاستون باشلار،ترجمة :غالب هلسا،ص٦

(١٠) مجلة اللغة العربية المجلد:٢٤ العدد ٣ السنّة الثلاثيّ٢٠٢٢،ص٥١٦ .

(١١)رسالة المكان في روايات تحسين كرمياني ،قصي جاسم أحمد الجبوري،ص ١٠.

(١٢) يُنظر: دراسات في السرد الروائيّ والقصصيّ ،ص١٨

(١٣) يُنظر :الرواية والتراث السرديّ،٦٧.

(١٤) مجموعة القصصية سكاكين حرير ،حميد الزاملي،ص٢١

(١٥) يُنظر: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بحار،الدقل،المرفأ البعيد)،مهدي عبيد ،منشورات الهيئة العامة السورية،٢٠١١،ص٣٦.

(١٦) جماليات الصورة –غاستون باشلار،غادة الإمام،دار التنوير،ط١،بيروت،٢٠١٠،ص٢٩٠.

(١٧) جمالية المكان في ثلاثية حنا مينا :مهدي عبيد،ص٥٧.

(١٨) سكاكين حرير،١٧.

(١٩) الألوان(دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها)،كلود عبيد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،ط١،ص١٢٨.

(٢٠)سكاكين حرير،١٦.

(٢١) الألوان،٦٤.

(٢٢) نظرية الأدب ،٢٨٨.

(٢٣)المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، أوريدة عبود،ص٧١.

(٢٤)سكاكين حرير ،٤٢-٤٣.

(٢٥) سكاكين حرير ١٣.

(٢٦) الكون القصصيّ آليّات السرد وتمثلات الدلالة،محمد إبراهيم عبد الله، ص ١٤١.

(٢٧) جماليات المكان، غاستون باشلار،٢٠٠٦،ص ١٩٨-١٩٩.

(٢٨)سكاكين حرير،١٠٣.

(٢٩)سكاكين حرير١٩.

(٣٠)سكاكين حرير ٦٥.

(٣١)يُنظر جماليات المكان في الشعر العباسي ،حمادة تركي زعيتر ،دار الرضوان للنشر والتوزيع ،ط١،عمان – الأردن ،٢٠١٣م،ص١٧٤.

(٣٢)جماليات المكان ،ص٤٥.

(٣٣)سكاكين حرير،٩٢.

(٣٤) يُنظر :الفن الروائي عند غادة السمان،عبد العزيز شبيل،تونس ،دار المعارف،١٩٧٨ ،ص٤٩

(٣٥)يُنظر : في القارئ والنص العلاقة والدلالة،سيزا قاسم ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ٢٠٠٢م ،ص٤٨ .

(٣٦)سكاكين حرير ،١٠.

(٣٧) جماليات السرد في الخطاب الروائي :غسان كنفاني ،دار مجد للنشر والتوزيع ،ط ١،٢٠٠٦ ،ص٩٩.

(٣٨)يُنظر: جماليات المكان ، ص٤٢.

(٣٩)سكاكين حرير٨٥– ٨٧

(٤٠)المصدر نفسه،٣٠–٣٣

(٤١) المصدر نفسه١١–١٢.

(٤٢) المصدر نفسه٤٤–٤٦

(٤٣) المصدر نفسه ٥٠–٥٢